

تطور مفهوم صورة البطل في الرواية العربية الحديثة - دراسة تطبيقية

د. سعيد مقديش
جامعة سيدي بلعباس

ملخص:

يشكل الاهتمام بشخصية البطل حقلا متميزا من حقل السردية التي ما زالت الدراسات النقدية تثير حولها كثيرا من الجدل، ذلك أنّ شخصية البطل الروائية في السرد عالم مبطن بالإيحاءات والرموز، تحمل أبعادا نفسية واجتماعية، فهي مفصل السرد ودعامة العمل الروائي، فمنها تنطلق فضاءات العالم الداخلي للإنسان تترجم ما يتلجج في الذات من همّ وألم، وهذا مادفعنا للبحث عن مفهوم البطل وصوره في الرواية العربية من حيث الماهية والوظيفة

Résumé

Cet article vise à rechercher l'évolution du concept de le sens du protagonism est ses signification dans les roman arabe, que les études critiques ont donné de l'importance à la personnalite protagoniste est un champ des champs narratifs que continuent de soulever autour de beaucoup de controverse. C'est parce que le rôle du protagoniste est un monde rempli de significations et de symboles, avec des dimensions psychologique et sociale. Il est un récit de la narration et le pilier du travail narratif, C'est aussi la source des espaces du monde intérieur d'humain, pour traduire tout ses soucis et douleurs. A cause de sa on a décidé de chercher et de comprendre le sens du protagonism est ses signification dans les roman arabe et de concentré sur la personnalité et la fonction .

توطئة

يحتل البطل أو النموذج في الآداب مكانة مهمة، فعليه تدور الأحداث ومنه تتبلور الأفكار والقيم، وتتحدد الرسالة التي يسعى الروائي بثّها في ثنايا السرد. الأصل أن البطل الروائي " شخص من طبقة عامة الشعب أو البورجوازيين ويتسلق درجات المجتمع"¹، يحاول أن يبلغ درجة النبلاء مثل العظماء، فقد يصل إلى مكانتهم، وقد يتجاوزها إلى أبعد حدّ، فيكون شخصية تصل في أبعادها إلى حدّ الأسطورة . يتجسد مثل ذلك في أبطال الأعمال الروائية على غرار هاملت، دون كيشوت وفاوست.

يرى جورج لوكاتش أن البطل لا بد أن يحمل على " اقتحام الكون كما يجب أن يكون في تجربته الذاتية بممارسته كحالة نفسية أو بتحويله إل تجربة وجـدانية تعاش بالفـعل"²، فالبطل على رأي لوكاتش مثل الإنسان في الواقع، يتحرك بمهماز الحاجة الملحة والثابتة بما يطابق الواقع الخارجي من حاجات واعية خالدة تدفعه لأن يفعل باستمرار دون كلل لبلوغ ما يكون أقرب إلى الحياة الواقعية.

¹ - ميشال بوتور: بحوث في الرواية الجديدة، تر، فريد انطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط3، 1983، ص 82.

² - G. LUCAS : la théorie du roman, GHONTHIER, France, 1969, p 173

ليس ثمة إجماع على مواصفات شخصية البطل أو المثال فهو " ليس شخصية فذة"³ تجتمع فيها أنبل الصفات فقد تحمل صفات الوصولية حتى ولو كان نبيلاً من الطبقة الأرستقراطية. من هنا يدخل الروائي ليضيف على البطل هالة خيالية وإن حمل معه بعض القيم الإنسانية فيغلب بذلك المثال على البروز الفردي الأحادي، لأن البطل في الأخير صنعة روائية.

وللبطل صورتان؛ بطل يظهر في الرواية " بوصفه بطلاً حق البطولة"⁴ كما نراه في الملاحم وقصص الفروسية يعبر عن اتجاه إيجابي، ينتصر على ما يعترض طريقه. وبطل لا نقصد منه سوى الشخصية التي يعنى الكاتب بها عناية كبيرة ملقياً عليها الضوء والحركة لتتقل سلوكاً معيناً أراد الكاتب من خلال تصويره على نحو ما ليعبر عن وعي وأصداء نفسية عميقة، وقد يمثل طبقة أو طبقات مختلفة في المجتمع.

مثل ذلك يبرز بوضوح في أعمال الواقعيين والطبيين حينما يدفع البطل العنصر الفاعل " بإحدى التناقضات في المجتمع إلى أقصى الحدود"⁵ من خلال تصويره متعارضاً متصارعاً مع المجتمع، فيظهر نموذجاً مسحوقاً تغتاله قوى الشر بلا رحمة حتى يظهر البطل عند الكاتب ضحية لقيم المجتمع ولنظمه الجائرة.

هنا يلح سؤال هل البطل هو نفسه النموذج ؟

للإجابة على هذا السؤال يجب معرفة طريقة الكاتب في تصويره للبطل أو النموذج من حيث الملامح الفكرية، ويكون ذلك بناء على المراتب التي يضعها للشخصيات، فكلما علت برز البطل شخصية رئيسية انطلاقاً " من درجة وعيها وبمسيرها وقدرتها على الارتفاع الواعي بما هو شخصي." ⁶ وعلى أساس هذا الوعي يبرز البطل شخصية إنسانية وليس نموذجاً روائياً. ويكمن ذلك في محاولته انطلاقاً من حدسه وقدرته الفردية تجاوز ما يحيط به من عوائق، وبناء على هذا الوعي عند البطل يختلف عن الشخصية النموذجية التي تظهر بلا وعي.

أنواع البطل:

1/- البطل الملحمي:

يقدم البطل الملحمي في الأساطير والقصص الديني والسير التاريخية والشعبية في آداب الأمم التي تملك تاريخاً حضارياً قديماً وثرياً "إنساناً عظيماً كامل الأوصاف مادياً ومعنوياً"⁷، فهو من حيث المبدأ شخصية حقيقية تعيش بين البشر وتؤثر في التاريخ السياسي والروحي لكل أمة، فقد يكون رسولاً أو نبياً أو حاكماً أو قائداً عسكرياً يتناقل الناس بطولاته وانتصاراته الخارقة من جيل لجيل، ويمكن أن نستدل على ذلك بنماذج عنتر بن شداد وأبي زيد الهلالي والظاهر بيبرس.

³ - صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، ط5، 1995، ص 115.

⁴ - محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1997، ص 534.

⁵ - جورج لوكاتش: الرواية، تر: مرزاق بقطاش، المكتبة الشعبية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت) ص 22.

⁶ - صلاح فضل: م س، ص 123.

⁷ - طه وادي: دراسات في نقد الرواية، دار المعارف، مصر، ط3، 1994، ص 12.

والبطل الملحمي يجمع إلى جانب شجاعته الفائقة الذكاء النادر وأحيانا الحلم والوفاء والنبيل يخلص القبيلة أو الأمة من الأعداء، فهو يصارع الفرسان لوحده فلا يترك واحدا وسهمه لا تخطئ.

يكون البطل الملحمي في موروث أي أمة صورة للاقتداء والأسوة الحسنة " خاصة في فترات الضعف السياسي والفكري والغزو الأجنبي"⁸ عبر مراحل التاريخ المختلفة. والأرجح أن المغزى من البطل الملحمي هو تسجيل التاريخ للأمة ليكون دعامة لها ولأجيالها، وأحيانا ينحو البطل منحى دينيا أو قوميا فيكون دائما شخصية حقيقية لها تأثير بالغ في تاريخ الشعوب.

2- البطل الخرافي:

يتجسد هذا النوع من الأبطال في الأساطير وقصص الحيوان والقصص الفلسفي والحكايات الشعبية وفي هذا النوع تبدو الأبطال " شخصيات عاقلة من الحيوان والجماد، لكنها تفكر وتتكلم، وتتصف بالعقل والمنطق ولها عواطف ومشاعر كالإنسان، وتقوم بدور إنساني واقعي"⁹ يتخفى من ورائها الكاتب حتى لا يؤدي نفسه من السلطان الجائر، ويقوم بأدوار خرافية بعيدة كل البعد عن الواقع.

يظهر هذا النوع في شخصيات عبد الله بن المقفع في كليلة ودمنة، وغالبا ما يقوم البطل في هذا النوع بمواقف غريبة وأحيانا مفتعلة، يميل إلى الاحتيال والفتنة والذكاء، ويكون عنده حسن التخلص من المآزق، كما نجد هذا النوع أيضا في الحكايات الشعبية المتداولة مثل حكايات ألف ليلة وليلة، أين تمتزج الحقيقة بالخرافة فيظهر البطل في شخصية ساحرة شريفة تحيل الإنسان إلى صورة حيوانية ويظهر البطل " الطيب الخير، يظل على حالة واحدة منذ البدء حتى الختام"¹⁰ ومثله أيضا البطل الخبيث.

يضيف المؤلف على الأبطال صفة المبالغة الخارقة جدا سواء في وصفها أم في ما تقوم به من أدوار تتحدى كل التوقعات وتجنح بقرائها إلى عالم خيالي مليء بالمغامرات الفردية.

3- البطل الواقعي:

ثمة مفهوم آخر ظهر للبطل على يد الواقعيين في الآداب الغربية يتحدد في كونه سوى الشخصية " التي يعنى المؤلف بها عناية كبيرة فيلقي الضوء على جميع جوانبها النفسية لتمثيل نوع السلوك الذي هدف الكاتب إلى تصويره في قصته. "¹¹

فعلى هذا النحو لم يعد للبطل وجود كما كان في الآداب القديمة، وصار شخصية رئيسية تتفاوت مع الشخصيات الأخرى إلا من حيث الاهتمام والعناية، وقد يتقارب معها لتنتقل موقفا عاما، فيمثل طبقة من طبقات المجتمع أو تكون صدى لأبعاد نفسية.

بهذا المفهوم صار البطل الذي تحول إلى شخصية رئيسية ضحية من ضحايا المجتمع، بئسة تغتاله القوى الشريرة، والهدف من تصويره على هذا النمط هو " إيقاظ الوعي الاجتماعي كي تنال هذه الطبقة حقوقها"¹² من جراء الطغيان الذي يمارسه الفرد المستغل

8 - مرجع نفسه ، ص 12.

9 - الطاهر مكي: القصة القصيرة، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1983، ص 11.

10- طه وادي: دراسات في نقد الرواية، ص 12.

11- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ص 534

12- مرجع نفسه، ص 534

على الآخرين ولتصوير الضغط الاجتماعي الساحق الذي ولد الاستغلال والصراع والضحايا.

وبذلك اختفى البطل من الرواية الحديثة وقد كانت عملية قتل البطل لا مفرّ منها " من أجل مهمة تصوير الناس العاديين في ظروف عادية"¹³، ومن هنا تحول مفهوم البطل إلى شخصية عادية تجتمع فيها صفات العفوية والفطرة الإنسانية.

وفي السرد الحديث لم يعد البطل أو الشخصية الرئيسية يقدّم أنموذجاً كبير السن مهيباً بل صار " رجلاً صغيراً في صراع مع المجتمع الذي يهزمه أو يقهره في النهاية "¹⁴، وتباعاً لذلك تحول البطل إلى شاب يفيض حيوية يعكس شباب الكاتب نفسه إحساساً وشعوراً، ولعلّ المنتبّع لروايات القرن التاسع عشر التي ظهرت بأوروبا، يجد أن معظم أبطالها شباباً سواء أكانوا رجالاً أم نساء مثلاً: راستنيك في الأب غوريو، وليون وإيما في مدام بوفاري، وجوليان سورال في الأسود والأحمر لستاندال، ولوسيان في الأوهام الضائعة لبزك.

يظهر هؤلاء الأبطال في صفة التمرد والمثالية، يحلمون بتحقيق قيم العدالة، عواطفهم ملتهبة ومسحة الحزن تخيم عليهم، لذلك كانوا شديدي الاحتقار للمجتمع البورجوازي الأناني.

4/- مفهوم البطل في الرواية الحديثة:

اختفى البطل تماماً في الرواية الحديثة والمعاصرة " لأنّ الإنسان لم يعد موجوداً كذات"¹⁵ بسبب أن الحياة الجديدة فرضت عليه - بما حملته من تطور سريع ومرعب - الضبابية والغموض، فزالت معها قيم الإنسان الأصيلة أو النموذجية التي استمدّها من أمته أو من التاريخ. وصار الإنسان مختنقاً من ثقل هذه الحياة الجديدة التي لا يكاد يتنفس أو يحسّ بذاته فيها يده مشلولة وإرادته مكبّلة بالعجز أمام هذا التطور الذي مسّ الحياة اليومية من وسائل قضت على كل حركة وفطرة في الإنسان.

من ذلك زال البطل كمحتوى أساسي، وتحول إلى مجرد شخصية عادية لا تسلط عليها الأضواء، فهو عادي في صورته الخارجية، لكنه ظاهر وبطل من حيث محتواه الداخلي والنفسي، وبهذا المحتوى " تتجلى الكهوف المظلمة الواقعية من النفس الإنسانية " ¹⁶ فعلى هذا الشكل لم نر من البطل قامته، ولا لون عينيّه أو سيفه المسلول وإنما هذا البركان النفسي الذي يتفجّر في حواره الداخلي ليكشف كل خفي وباطن داخله، نوازعه وأحلامه.

إذا فموت البطل في الرواية الجديدة هو موت الشكل والظاهر والمورفولوجية الفتنائية والعجائبية، أما المحتوى الداخلي للبطل فقد أخذ منحى هذه النفس الإنسانية التي اكتوت بالضجر والعجز من جرّاء تفسخ قيم الإنسان النبيلة ، مما أفرز بطلا يعيش السقوط من أول وهلة، مسلوب الإرادة يتقاسم البطولة مع الشخصيات الأخرى التي تساعد في تشخيص معاناته.

¹³- طه وادي، دراسات في نقد الرواية ، ص 189

¹⁴- مرجع نفسه ، ص 190

¹⁵ - عبد الصمد زايد: مفهوم الزمن ودلالاته، الدار العربية للكتاب، 1988، ص 21.

¹⁶- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ص 531.

هكذا صار مفهوم البطل في الرواية الجديدة يمثل صراع " الجماعة في سبيل التغلب على هذا الاستلاب"¹⁷، ولم يعد البطل فردا واحدا وإنما مجموعة من الشخصيات المتعددة الأدوار قد تكون رئيسية دائمة الحضور، أو حتى ثانوية تظهر من حين لآخر داخل السرد. لم تعد للبطل أهمية داخل الرواية إلا وعيه الاجتماعي ومأساته لذلك استند الروائيون إلى الطرق النفسية والفلسفية، والحوار الداخلي لتمثيل قمة الاستلاب الذي أضحي يعيشه بطل الرواية الجديدة.

وبالموازاة مع ذلك لم تعد الرواية تنقل شعور البطل ووعيه وحدهما بل أضحت تنقل " روح القبيلة أو الجماعة ... وشعور كل الناس"¹⁸ ومن ذلك تحول مفهوم البطل إلى مجموعة من الشخصيات التي تتقاسم المحن وتعيش المأساة، وكلما كان عدد الشخصيات الفاعلة في الرواية متنوعا، تجسدت فكرة الرواية ودلت على الأبعاد المتباينة التي يتقاسمها الناس على مختلف مشاربهم بعيدا عن النزعة الفردية التي ظلت مسيطرة على البطل القديم.

أثمر مفهوم البطل الجديد أن صنع وحدة روحية بين القارئ والبطل (الشخصية الفاعلة) حول مفاهيم الحياة، واقتربت الفجوة بين القارئ والبطل مما يتيح مناقشة الموضوع الذي ترمي إليه الرواية في دائرة اهتمام موسعة.

هذا المفهوم الجديد الذي اكتسبه البطل الجديد في الرواية المعاصرة حدّد تعريفا جديدا قوامه "ضمير الغائب واختلاط الشخصيات التي تتحول إلى شخص واحد مختصر"¹⁹ ونابت عن البطولة الفردية بطولة جماعية يجتمع فيها ضمير الغائب، أو المخاطب أحيانا وأخرى يكون البطل هو ضمير السارد نفسه.

إن التلاعب بين الضمائر يكون هدفة تحقيق "التمييز بين مستويات الوعي واللاوعي المختلفة عند هؤلاء الأشخاص وتعيين أوضاعهم بين الآخرين وبيننا نحن"²⁰ القراء، وعليه لم يعد يفصل بين الضمائر أو الشخصيات سوى بطولة الوعي أو اللاوعي بينهم وبيننا من خلال أحاديث حقيقية ظاهرة أو مستترة.

هكذا يصبح البطل شخصية مهمة فقط، وتكمن أهميته في أنه ينقل مجازا عن الآخرين في المجتمع ما يبطنونه من أفكار ومشاعر، هموم ومآسي، تظهر من خلال حواراته الداخلي الذي يعبر عن ما أصاب الإنسان من إحباط وخيبة، مصير تعيس في العصر الحديث أمام تحديات المجتمع وما تفجر منه من قيم متداخلة، وصراعات فكرية حادة، فأنت ترى بطل الرواية المعاصرة اليوم يراهن، يتحدى يطمح وينكسر، يعكس إيمانا متزعزعا وضياعا فكريا وخيبات متتالية. ذلك هو بطل اليوم بكل مواصفات الواقع الراهن.

نماذج من صور البطل في الرواية العربية:

ترددت في كتب الدراسات السردية والروائية الحديثة العربية نماذج من صور البطل في الرواية العربية، والتعريف بوظائفها والالمام بمستوياتها داخل العمل الروائي، ونظرا لغزارة

¹⁷- محمد غنيمي هلال، م س، ص 535

¹⁸ - ألبيرس، تاريخ الرواية الحديثة، تر: جورج سالم، منشورات عويدات، بحر المتوسط، بيروت

وباريس، ط2، 1982، ص 440

¹⁹- ألبيرس: م س، ص 445.

²⁰- ميشال بوتور: بحوث في الرواية الجديدة، ص 105

وتتنوع وكثرة الاهتمام بها، سنحاول تسليط الضوء بتتبع أهم نماذج وصور البطل وكشف جمالياتها داخل المتن السردي، كما جاءت في بعض المصادر التي اهتمت به.

صور البطل في الرواية المصرية:

بدأت الرواية العربية الواقعية الأولى مهتمة بالشخصية الرئيسية بطلاً واحد كان أو أكثر إلا أن الجديد الذي نلاحظه في بطل تجربة تيمور و حقي و عبيد أنه يختار من البيئة الشعبية أي بطل عادي و حتى أسماء الأبطال ينمون على طبيعة هذه البيئة مثل : رجب، ثريا، عم متولي، الحاج شلبي، سيد العبيط، رجب أفندي .

لعلّ تقديم البطل بهذه الصورة العادية عند تيمور و عبيد قد نقل مفهوم البطل من العالم البطولي إلى أرض الناس العاديين، و صار صدق العمل الروائي عندهما مرتبطاً بتصوير الشخصية في واقعها الذي يشمل جوانب الخير و الشر في محاولة " لتصوير الحقائق العادية المجردة " ²¹. بعيداً عن التجميل و بهذه الرؤية يتولد أدب قومي يعبر عن الذات و يختلف عن آداب الأمس في بداية عصر النهضة.

يرى الكاتب والناقد عيسى عبيد أن ضعف اهتمام الكتاب بالبطل الواقعي الذي ينبت في البيئة الشعبية لكون الكاتب العربي "لم يمرن بعد على الملاحظة و التحليل النفسي و على دراسة شخصياته من حيث المزاج و الوراثة و البيئة " ²². و انطلاقاً من تلك الرؤية صارت الرواية تدرس أسرار الطبيعة الإنسانية وخفاياها وتشريح النفوس للوقوف على التناقضات التي كانت ولا تزال تهيم على قلب الإنسان في صراعه مع قدره و بيئته.

أحدثت دعوة عيسى عبيد للاهتمام بالتحليل النفسي في توجيه مسار الرواية أثناء عرض الشخصيات دعامة عند الكتاب العرب للاهتمام و التركيز على الشخصية الروائية، و من هنا صار الكاتب مضطراً إلى "التركيز على شخصية واحدة يركز عليها كل جهده" ²³. فيجعلها محورية تحتل المرتبة الأولى وإليها مرجع الأحداث.

انطلاقاً من هنا صارت الروايات تحمل عناوين لأسماء أبطالها على نحو زينب، رجب أفندي ، ثريا ، سارة ، إلا أن أبطال روايات هذه الفترة لم تحمل معاني البطولة وإنما جاءت بطولتها وفق تركيز الكاتب عليها فقط، حيث يظهر إقحام الكاتب لتحليله النفسي على أبطاله و شخصياته دون أن يترك شخوصه تتحرك و تتحاور بحرية و إرادة و إسهاب، و ليس ذلك عيباً لأن الرواية العربية كانت لم تنزل في مرحلة التأسيس والتأصيل. ثم تطور مفهوم البطل في محاولة طاهر لاشين "حواء و آدم " حينما إنتقلت صورة البطل من الشخصية الشاذة الغربية أو الطريفة كما عند تيمور و عيسى عبيد لتتحول عند طاهر لاشين إلى "شخصية سوية تناضل لتشق طريقها في الحياة" ²⁴ و صار البطل بعد محاولة طاهر لاشين بطلاً إنسانياً يهتم بالموقف وله إحساس بالواقع وهي نقلة جذرية تؤسس للبطل المعاصر بالمفهوم الغربي .

أما عن نجيب محفوظ في رسمه لصورة أبطاله فإننا نجد أنفسنا أمام الطريقة التي ابتدعها في تقرير ملامح البطل الواقعي، فمعظم أبطاله الواقعيين "من البرجوازية الصغيرة في

21- عيسى عبيد : مقدمة إحسان هانم، الدار القومية ، القاهرة . 1964.

22- يحي حقي: فجر القصة المصرية ، القاهرة، 1960 ، ص 104 .

23 - د. عبد المحسن طه بدر : تطور الرواية العربية الحديثة ، دار المعارف ط4 ، دت، ص 248 .

24- مرجع نفسه ، ص 270 .

المدينة الكبيرة ويكشف عن الصفات السيئة التي تعتنقها هذه الطبقة من أوهام وفردية وتنقضات ورغبة في التخلص من الجذور القديمة التي تربطها بالطبقات الشعبية الفقيرة²⁵. وبهذه الرؤية تكتمل صورة البطل الواقعي ابن البرجوازية الصغيرة، برجوازية الموظفين والمدرسين، وطلبة الجامعة،... وترتسم ملامحه العادية الواقعية التي غالبا ما تكون إنعكاسا للحارة التي يعيش فيها ، و لطبيعة مستواه الاجتماعي في أسرته ، لذلك يستطيع القارئ أن يتخيل كمال عبد الجواد ، أو محبوب عبد الدايم ، إنطلاقا من أوصافهما السردية " فمن خلال التصوير الحي لحركة الشخصية يستطيع استخلاص صفاتها "²⁶. في البيت أو الحي، داخل الزقاق، في المكتب أو أثناء الحديث العابر.

تمثل روايات هذه المرحلة التي جاءت بعد تجربة لاشين بداية موفقة للرواية العربية في مرحلة تشكيل سردي عربي فني جديد سواء كان هذا التشكيل من ناحية البناء والتكنيك أم من ناحية الموضوع والحادث.

يدخل **طه حسين** الشخصية القلقة في السرد الروائي التي تنتهي بالفاجعة ، و قد سبق طه حسين بهذا العمل معاصريه لما "أخضع العملية الروائية عنده للعقلانية و التخييل"⁴. مبشرا برواية إجتماعية تكشف أنواعا من المأساة التي تمثل جيلا بكامله عاشها الكاتب نفسه مغتربا بفرنسا .

وتحمل شخصية بطل الرواية في هذا الوقت المبكر نموذج الشخصية الانتهازية التي تضحي بزواجها من أجل الصعود إلى أعلى ، ثم تنتهي به هذه الفردية القاتلة إلى التخييل والفشل في معاشية هذا الواقع الجديد الذي فرضته عليه أوربا ، فيكون خلاصه السقوط والخيبة متمثلة في هذا الضياع العقلي.

صور البطل في الرواية الجزائرية:

يقف الروائي الطاهر وطار في مقدمة كتاب الرواية العربية الحديثة في الجزائر حاملا في أسلوبه الريادة و التوجيه . بعد أن مكنه أسلوبه الرصين و مواضع رواياته الاجتماعية التي عزف بها على وتر قضايا شائكة لواقع الجزائر إبان الثورة و بعدها .و لعل خير مثال حي لنموذج البطل الساقط يظهر بقوة في روايته الشهيرة " اللاز " ، لكن سقوط اللاز في هذه الرواية هو سقوط غير مبرر فنيا على غرار الروايات الواقعية العربية الأخرى . لأن اللاز ساقط بالفطرة التي ولد فيها و ينتهي سقوطه بالجبنــــــــــــــــون .

فاللاز نموذج للشخص " الطائش ، العنيف ، الذي يعرف أعدائه بمجساته كالحيوان و سرعان ما يسخر مادته الخام لصالح الثورة "²⁷. وهي تلك الثورة الباطنية التي كانت تحترق في نفسه عن أصله.

²⁵- محمود أمين العالم – عبد العظيم أنيس ، في الثقافة المصرية ، دار الفكر الجديد ، لبنان 1955 ، ص 156.

²⁶-محمد نضال ، الشمالي فتحي ، قرأة النص الأدبي مدخل و مصطلحات ، دار وائل للنشر ، عمان ، الأردن. ط1، 2009 ، ص 76 .

²⁷- واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 . ص 494 .

اللاز ابن غير شرعي من زيدان و مريانة ، ينضم لصفوف الثورة و يكلف بأعمال شاقة كونه يعرف المنطقة جيدا ، ويحارب إلى جنب الثوار في صورة أبله ، وفي الرواية يسمع أنواع من الشتائم والإتهامات، وهو شخصية "مظلومة ،مستعمرة ، فقيرة ،جاهلة "28. وفي خضم العمل الثوري يتعرف اللاز على أبيه زيدان المتشبع بالثقافة الشيوعية و قد انضم إلى الثورة لأنها ضرورة حتمية أقوى من عقيدته الحزبية .

وليس اللاز وحده من يمثل نموذج الشخصية الساقطة بل نجد إلى جانبه حمو و زيدان و الشيخ الربيعي وبعطوش لكن الذي يهمننا هنا هما اللاز و زيدان ، فاللاز لأنه إنتهى إلى الجنون لإصطدامه بحقائق أذهلته عن التصفيات بعد الثورة.

و أما الربيعي فلأنه خاب في تحقيق مشروعه التنويري الشيوعي ، فانتهى به المطاف إلى القتل. وتنتهي القصة بمقولة ردها زيدان ثم الشيخ الربيعي " ما يبقى في الوادي غير حجاره"29 . هكذا نجد النهاية المأساوية للشخصيات تكاد تكون على نسق واحد على مستوى مشروع الرواية كما نجد اللاز ومعه الآخرون أجبر على عيش لحظة قيصرية حجت تطوره و أوقفته عند نقطة كان يمكن أن يحقق من ورائها قفزة جيدة لو بقي على نسق تطوري طبيعي، فما كان منه إلا أن استسلم كما استسلم رفاقه في الثورة لحركة التتكر والعزل والتهميش لأن أفكارهم كانت أوسع حجما من دعاء الآخرين. وصورت هذه الرواية بدقة صورة عامة للمواقف الاجتماعية وتفاوت الاستجابات والأحلام وتباين الوضعيات في النهاية رغم أن الواقع كان واحدا.

صور البطل في الرواية السودانية:

في الرواية السودانية نلتقي بنموذج فني رائع وعالمي للكاتب الطيب صالح في روايته العالمية موسم الهجرة إلى الشمال ، و في هذه الرواية تتراءى صورة البطل الضائع الخائب في بيئته الغربية .

يسافر مصطفى السعيد والراوي إلى إنجلترا للدراسة تاركا وراءه قريته في شمال السودان يسافر حاملا معه عالم قريته الصغير ليجد نفسه في العاصمة لندن .في لندن ينغمس في عالم الجنس وتتهافت عليه النساء، لم يستطع الراوي إخفاء كفته بعد أن تخلى عن مشروعه الحضاري الإنساني الذي أرسل إليه، وصار بيته مضطجعا لكل امرأة تقع على عينيه، فيتسبب في إنتحار فتاتين، وحطم قلب امرأة متزوجة وقتل زوجته التي بدت عصبية المنال وحكم عليه بالسجن فكيف كان شعوره بعد أن أصدر في حقه هذا الحكم يقول: " أحسست أنني أستسلم لقوى النهر الهدامة أحسست بساقي تجران بقية جسمي إلى أسفل "30. وبعد أن قضى مدة السجن عاد إلى قريته، بعد أن ترك دراسته، لقد مزقت أوروبا مصطفى سعيد و أفسدته "وحطمت قلبه ففقد الرغبة في الحياة "31 فعاد إلى قريته يجرر أذيال الخيبة.

28- حامد سيد النساج: - بانورما الرواية العربية الحديثة ، دار المعارف ، مصر ، ط 1، 1980، ص 225.

29- الطاهر وطار: اللاز، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، 1981، ص 277.

30 - الطيب صالح : موسم الهجرة إلى الشمال ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ص 154 .-

31- حامد سيد النساج: بانوراما الرواية العربية ، ص 239.

بعد هذه الرحلة الشاقة و المدمرة يكتشف البطل معاني الزيف والكذب عن هذه الحضارة ، وهو الذي نشأ في القرية تلسعه شمسها، وحينما يذهب إلى بلد الثلج والبرودة "فيطبق عليه الصقيع فيفر هاربا يعود إلى الجنوب، أو يهلك كما يهلك عطيل" ³² وفي هروب البطل تجسيد واقعي لحقيقة صراع الجيل العربي مع الحضارة الأوروبية صراع على القيم الإنسانية والاجتماعية، وفهما مريضا للآخر لأن الأوهام والافتراضات كانت دعامة هذا الصراع بين العالمين الشرقي والغربي.

خطا فن الرواية بمراحل وحقبات حتى غدا هذا الفن - الرواية - هو الفن السائد في النثر، وبعد أن ساد التيار الرومنتيكي لفترة قصيرة ظهر في الروايات العربية إتجاه واقعي " يصف الشخصيات في أثمها و شرورها ويعرض لجوانب القبح في الحياة و يلحظ الواقع بما فيه من أخطار و نذر تدمغ العصر أو الطبقة الاجتماعية " ³³.

وعلى هذا النحو تحول مفهوم البطل في المتن السردى العربي من صورته النمطية الجاهزة إلى بطل مجرد من صفة البطولة، ليتحول إلى شخصية عادية وقد تكون ثانوية تعكس صدام الإنسان مع الحضارة الحديثة بأفكارها وفلسفاتها تعكس هذا الاهتمام بالشريحة الاجتماعية الأكثر حضورا مثل شخصية الموظف والموسم وطالب الجامعة والعبيط...

المراجع

- 1- ميشال بوتور: بحوث في الرواية الجديدة، تر، فريد انطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط3، 1983.
- 2- صلاح فضل: منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، ط5، 1995
- 3- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1997
- 4- جورج لوكاتش: الرواية، تر: مرزاق بقطاش، المكتبة الشعبية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت)
- 5- محمد غنيمي هلال: النقد التطبيقي المقارن، دار نهضة مصر للطباعة و النشر، القاهرة.
- 6- طه وادي: دراسات في نقد الرواية، دار المعارف، مصر، ط3، 1994.
- 7- الطاهر مكي: القصة القصيرة، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1983.
- 8- عبد الصمد زايد: مفهوم الزمن ودلالاته، الدار العربية للكتاب، 1988.
- 9- ألبيرس، تاريخ الرواية الحديثة، تر: جورج سالم، منشورات عويدات، بحر المتوسط، بيروت وباريس، ط2، 1982.
- 10- عيسى عبيد : مقدمة إحسان هانم، الدار القومية ، القاهرة .1964.
- 11- يحيى حقي: فجر القصة المصرية ، دار المعارف القاهرة، 1960
- 12- عبد المحسن طه بدر : تطور الرواية العربية الحديثة ، دار المعارف ط4 ، دت
- 13- محمود أمين العالم، عبد العظيم أنيس ، في الثقافة المصرية ، دار الفكر الجديد ، لبنان 1955

³² - فاطمة موسى: في الرواية العربية المعاصرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج 1، ط 2- 1997

³³ - محمد غنيمي هلال: النقد التطبيقي المقارن، دار نهضة مصر للطباعة و النشر، القاهرة، ص25.

- 14- محمد نضال ، الشمالي فتحي، قراءة النص الأدبي مدخل ومصطلحات، دار وائل للنشر ، عمان، الأردن.ط1، 2009
- 15- واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986.
- 16- حامد سيد النساج: بانورما الرواية العربية الحديثة ، دار المعارف ، مصر ، ط1 ، 1980،
- 17- الطاهر وطار: اللاز، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، 1981.
- 18- الطيب صالح : موسم الهجرة إلى الشمال ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، دط، دت.
- 19- فاطمة موسى: في الرواية العربية المعاصرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج 1، ط 2- 1997
- 20- G. LUCAS : la théorie du roman, GHONTHIER, France, 1969